الجزء الثلاثون سورة العاديات

مكية — آياتها ١١

سُورَةُ العَادِيَاتِ، مَكيَّةٌ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا ﴿١﴾ فَٱلۡمُورِيَٰتِ قَدۡحٗا ﴿٢﴾ فَٱلۡمُغِيرَٰتِ صُبۡحٗا ﴿٣﴾ فَأَثَرۡنَ بِهِۦ نَقۡعٗا ﴿٤﴾ فَوَسَطۡنَ بِهِۦ
جَمۡعًا ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٞ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾
۞ أَفَلَا يَعۡلَمُ إِذَا بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّخَبِيرُۢ ﴿١١﴾﴾

يقسم الله عَزَّوَجَلَّ بالخيل في أشد قوته، فيقول: ﴿وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ﴾ أَيْ: الجاريات ﴿ضَبۡحٗا﴾ فيصدر منها صوتٌ حين جريها وعدوها.

﴿فَٱلۡمُورِيَٰتِ﴾ أَيْ: المشعلات ﴿قَدۡحٗا﴾ حين تضرب أرجلها في الحجارة، فلصلابة الحجر، وصلابة الرجل تنقدح من الحجارة مثل الشرر، وذلك أن الخيل يوضع في رجلهِ حدوة من حديد؛ لتقيه ضرب الحجارة ونحو ذلك، فتجتمع صلابة ما في رجل الخيل مع صلابة الحجر مع سرعة العدو، فيخرج منها قدح مثل النار.

﴿فَٱلۡمُغِيرَٰتِ﴾ أَيْ: الخيل التي تغير على الأعداء ﴿صُبۡحٗا﴾ وهذا على الغالب، فإن النبي ﷺ كان يبيت الناس، ثم يغير عليهم في الصباح، فإن سمع الأذان أمسك وإلا أغار، وربما تقع الغارة في غير هذا الوقت.

﴿فَأَثَرۡنَ﴾: أَيْ: من الإثارة لكثرة جريهن ﴿نَقۡعٗا﴾ أَيْ: الغبار.

﴿فَوَسَطۡنَ بِهِۦ جَمۡعًا﴾ أَيْ: تتوسط بالمقاتلين وجموع الأعداء، وهذا من عجيب شأن الخيل، فإنه يهجم مع مقاتله حتى في حال المسايفة، ربما تجد المبارز يبارز والخيل يقدم معه، لاسيما الخيل العربية الأصيلة، ولذلك يستخدم الناس البراذين والخيول الأوربية وما في بابها؛ للعدو والسباق، ويستخدمون الخيل العربية للقتال ونحوه، فإنه يبقى مع صاحبه في أشد اللحظات وأحنك الأوقات.

﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ هذا هو المقسم عليه، أقسم الله بالخيل وصفاته لهذا الأمر ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ﴾ أَيْ: إن جنس الإنسان لجحود لنعمةِ الله عَزَّوَجَلَّ عليه، وقد يجحدها

بلسانه، أو بفعاله. والواجب على الإنسان أن يكون شاكرًا لأنعم الله عليه، لكن الوقع أن كثيرًا من الناس كفروا بالله وجحدوا نعمته. ﴿لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾ إشعار بأن الله هو الذي يرزقه ويحوطه ويعطيه، ومع ذلك يكفر النعمة ولا يشكرها ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ:١٣].

﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ لها معنيان:

❖ **الأول:** بأن الله شهيدٌ على كنود الإنسان، وعلى بخله، وجحوده، والله مطلع على كل شيء، ويكون هذا على التهديد.

❖ **الثاني:** أن الإنسان على كنودهِ لشهيد، إما بلسان حاله وإما بلسان مقاله، يشهد أنه جحودٌ، وأنه مفرط في حق الله عَزَّوَجَلَّ، وهذا يكون في يوم القيامة.

﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ أَيْ: أن الإنسان لحب المال لشديد، وهذا هو السبب الذي أورده الموارد، فإنه يأخذ المال من حله ومن حرامه، ويعادي ويوالي؛ من أجله، فإذا زادت محبة المال في الإنسان أهلكتهُ، وكما قيل:

أَنْـــتَ لِلْـــمَالِ إِذَا أَمْسَـــكْتَهُ ❁❁❁ فَـــإِذَا أَنْفَقْتَـــهُ فَالْمَـــالُ لَـــكْ

فكثير من الناس بسبب محبتهم للمال يقعون في الهلكة، وعن عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**إِذَا فُتِحَتْ عَلَيْكُمْ فَارِسُ وَالرُّومُ، أَيُّ قَوْمٍ أَنْتُمْ؟**» قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: نَقُولُ كَمَا أَمَرَنَا اللهُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ، تَتَنَافَسُونَ، ثُمَّ تَتَحَاسَدُونَ، ثُمَّ تَتَدَابَرُونَ، ثُمَّ تَتَبَاغَضُونَ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، ثُمَّ تَنْطَلِقُونَ فِي مَسَاكِينِ الْمُهَاجِرِينَ، فَتَجْعَلُونَ بَعْضَهُمْ عَلَى رِقَابِ بَعْضٍ**»(١).

والمعنى الثاني: أن الإنسان بخيل بما أوجب الله عَزَّوَجَلَّ عليه، فيعاقب على ذلك، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ، وَلَا فِضَّةٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا؛ إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ، فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ، وَجَبِينُهُ، وَظَهْرُهُ**»(٢)، قيل يكوى جبينه؛ لأن السائل حين يأتيه يتمعر وجهُه، ويكوى جنبُه؛ لأن السائل حين يلح عليه يعرض عنه ويوليه جنبه، ويكوى ظهرُه؛ لأنه إذا أتاه في الثالثة قد يوليه ظهره ويمشي، فيكون الجزاء من جنس الصنيع في الدنيا. فحب المال، إن كان لا يؤدي إلى ترك الواجبات وفعل المحرمات، فهو رزقٌ من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، قَالَ النبي ﷺ: «**يَا عَمْرُو، نِعِمَّا بِالْمَالِ**

(١) أخرجه مسلم (٢٩٦٢).
(٢) أخرجه مسلم (٩٨٧)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الصَّالِحِ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ»(١)، وأما إذا كان يؤدي إلى غير ذلك فهذه هلكة، نسأل الله السلامة، فكثير من الناس من حبهم للمال يمنعون المسكين حقه، قال تعالى: ﴿ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [القلم:١٢]، بل لا يحضوا على طعام المسكين، كما قال تعالى: ﴿ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ ﴾ [الماعون:٣]، إذا كان يعاقب على عدم الحض على طعام المسكين، فكيف بمن لا يطعم المسكين، وبعضهم يقطع أرحامه، ويهجر جيرانه؛ من أجل المال، وقد قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً، وَإِنَّ فِتْنَةَ أُمَّتِي الْمَالُ»(٢).

ثم قال عَزَّوَجَلَّ مهددا لما سيقع للإنسان في يوم القيامة: ﴿ أَفَلَا يَعْلَمُ ﴾ أَيْ: هلَّا يعلم هذا الإنسان ﴿إِذَا بُعْثِرَ﴾ أثير وأخرج ﴿مَا فِي ٱلْقُبُورِ﴾ من المدفونين والمقبورين.

﴿وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾ أَيْ: وجمع ما في صدورهم وأظهر للعيان، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾﴾ [الطارق:٩]. وذكر الصدور دون غيرها؛ لأنه إذا جمع عليك ما في صدرك فمن باب أولى جمع الظاهر الواضح. وفي هذا دليل على خطر النيات، فإن كانت صالحة يرجى لصاحبها الخير وإن كانت غير ذلك يخشى على صاحبها الشر والضير.

﴿ إِنَّ رَبَّهُم ﴾ خالقهم ورازقهم ﴿بِهِمْ﴾ وبأعمالهم ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ القيامة ﴿لَّخَبِيرٌ﴾ مطلع على كل ما فعلوا وتركوا. وذكر يوم القيامة على التهديد، والوعيد ، ومعنى خبير: أَيْ: عليم بِبَواطن الأمور، هذا إذا اجتمع مع العلم، وأما إذا افترق عن العلم: فالخبير بمعنى العليم بظواهر الأمور وبواطنها، واللهُ المستعان.

والحمد لله رب العالمين.

(١) أخرجه أحمد (١٧٧٦٣)، عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.
(٢) أخرجه أحمد (١٧٤٧١)، والترمذي (٢٣٣٦)، عَنْ كَعْبِ بْنِ عِيَاضٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، والحديث في «الصحيح المسند» (١٠٩٣) لشيخنا مقبل الوادعي رَحِمَهُٱللَّهُ.